وحيدة وسؤال العدسة

http://www.alwaqt.com/art.php?aid=56963

الوقت - عبدالقادر فيدوح:

غالبا ما تأتي الصورة المرئية لتعبر عن حالة ما، هي أقرب ما تكون إلى الصورة التشكيلية المقصودة، وأبعد ما تكون عنها في التفصيل التزييني، فالصورة المرئية غالبا ما يقتنصها الفنان بأسلوب مرئي فريد لتعبر عن موقف الواقع على نحو ما نجده عند الفنانة وحيدة مالله التي تعاملت مع دلالة الصورة الممعنة في التعاطي مع تفاصيل الحياة اليومية واستشرافها، وهو ما يتبين بشكل واضح في صورة الفتاتين المتجهتين إلى النافذة المغلقة التي تنقلنا إلى انسداد الأفق أمام المرأة العربية، والمتأمل في الصورة باللباس العربي يعطي دلالة وكأنها تتكلم بلسان بليغ عن تأملات طموحة إلى استشراف المستقبل من دون جدوى عبر بلاغة مرئية مؤثرة تبين حال كل امرأة عربية في ترقبها انفتاح الآفاق المسدودة والتطلع إلى مزيد من التحرر من سلطة الذكورة المفروضة عليها بين جدران البيت، وانسداد جميع المنافذ المعبر عنها في حجب النوافذ الموحية بوضع حد كل أمل، بما في ذلك الترقب والتطلع نحو الفضاء، وكأن الصورة في مثل هذه الحال ترسم رؤيا قبل أن ترسم حدثا، وهي بذلك تغنيك عن قراءة مقال أو كتاب - أحيانا - كونها ترسم لحظة مشهودة من دورة التاريخ في استحضار سلطة الرجل.

إن الصورة في عمل وحيدة الفني يستحضر ذاكرة ثقافية ومرآة اجتماعية، من حيث كونها مرآة للمرأة العربية عموماً التي ترغب في تجسيد دورها نحو التطلع. أضف إلى ذلك أن كل صورة من صور وحدية هي عبارة عن رسالة تعمق المفهوم الذهني لمضمون الرسالة المراد إرسالها إلى المتلقي.

ولمعرفة دلالة الصورة الفوتوغرافية واكتشاف معناها الإيحائي نشير إلى ما عبر عنه رولان بارت فَّوَمَّ من أن هناك ستة عناصر أساسية تؤثر في إنتاج الصورة وهي: التأثيرات الخادعة (cikrt efficts) ووضعية الصورة (Pose)) والموضوع (object) وجاذبية الموضوع للتصوير (photogene) والجمالية (aestheticsim) والتركيب.(syntax)

ولعل ما يهمنا من مقولة بارت هو جاذبية الموضوع للتصوير (photogene) من حيث كونها عنصرا جماليا، ورسالة دالة كانت تتقصدها وحيدة من خلال ما عبرت عنه في صورها الملتقطة والمعبرة عن نسق ثقافي معين حرك مشاعرها في إظهار مكانة اللاوعي الجماعي. ومن هذا المنظور يكون المعنى الإيحائي لسؤال عدسة وحيدة مقروناً بالمسار الواقعي والرؤية الاجتماعية بحسب ما يستدعيه النسق الثقافي عبر الأجيال المتعاقبة. ولعل المعنى الإشاري الذي جاءت به وحيدة - في التقاطها الصور المعبرة بخاصة ترابط الصور بالنخيل وقطعة القماش الأخضر - يوحي بإحساس الفنانة بالجو الطبيعي لكل امرأة عربية تتطلع إلى الأمل باستحضار تفاصيله والانضواء تحت جناحي البراءة والعفوية والاحتماء بالإيمان.

إن واقع المرأة في صور وحيدة يبرهن على فشل إنتاج الفرح وزرع البهجة، لذلك تضع الفنانة حال المرأة وكأنها مشدودة بالحنين إلى الآفاق الرحيبة علها تقبض على تلك السعادة الضائعة في وهم الذكورة. وكأن وحيدة بهذه الصور ترسم ذاكرة حية متجددة للمرأة العربية في تفاصيلها المباشرة للعيان، والمعبرة في دلالتها بعد التأمل في كشف تفاصيلها وأبعادها بما تبوح به من أسرار قابلة لكل تأويل، شأنها في ذلك شأن أي نص فني آخر.